تَصْحِيحَاتُ النَّحَّاسِ الدِّلَالِيَّةِ لِمَعَانِي الْأَلْفَاظِ الْقُرْآنِيَّةِ مِنْ خِلَالِ كِتَابِهِ مَعَانِي الْقُرْآنِ

إِعْدَادُ:

د. فادي بن محمود الرياحنة

أستاذ مشارك في التّفسير وعلوم القرآن جامعة طيبة بالمدينة المنورة

المقدمـــة

الحمد لله منزل الكتاب، تبصرة وذكرى لأولى الألباب، والصلاة والسلام على السراج المنير من أعطاه الله الحكمة وفصل الخطاب، وسلم تسليماً كثيراً.. أما بعد :

فالقرآن الكريم، كتاب الله الخالد ، ومعجزة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، جعله الله هداية كتاباً مبيناً وعربياً، فقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ يوسف: ٢.

ولقد أدرك العلماء الأوائل ما للعلوم المضافة إلى القرآن –خصوصا العلوم اللفظية– ؛ من أثر في فهم النص القرآني[١]، فهي من أوّل ما يستعين به المفسر في التفسير والتأويل.

قال الراغب الأصفهاني:" إنّ أوّل ما يحتاج أن يُشتغل به من علوم القرآن؛ العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية؛ تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللَّبِن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه"[٢].

ولهذا فقد أكد العلماء على أنّه لا يحل لأحد الإقدام على كتاب الله تعالى إلاّ بعد معرفة هذا الفن، ذكر الزركشي عن يحيى بن نضلة المديني[٣] أنّه

---

(١) قال الإمام الشاطبي: «العلوم المضافة إلى القرآن تنقسم إلى قسمين: قسم هو كالأداة لفهمه واستخراج ما فيه من الفوائد، والمعين على معرفة مراد الله تعالى منه كعلوم اللغة العربية التي لابد منها..» انظر: الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي، الموافقات في أصول الفقه، ت: عبد الله دراز ، دار المعرفة، بيروت ٢/ ١١٧.

(٢) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ت: محمد سيد كيلاني، ط الحلبي،١٩٦١م ص:٦.

(٣) يحيى بن سليمان بن نضلة الخُزاعي المدني، قال ابن أبي حاتم: كتب عنه أبي، وسألته عنه =

سمع مالك بن أنس يقول:" لا أوتى برجل يفسّر كتاب الله، غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالاً.

وقال مجاهد لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"(١).

وقد هيأ الله سبحانه وتعالى لخدمة كتابه العزيز علماء أفنوا أعمارهم في فهم آيات الكتاب الكريم، وتمحيص ألفاظه ودلالته، ومن هؤلاء الأئمة الأجلاء علم العربية الإمام أبو جعفر النحاس(٢).

= فقال: شيخ حدث أياماً ثم توفي، وقال ابن عدي: روى عن مالك وأهل المدينة أحاديث عامتها مستقيمة. انظر ترجمته :الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ت: علي محمد البجاوي، دار المعرفة ،بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ ٤/ ٣٨٣

(١) الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة – بيروت، ١٣٩١، ت: محمد أبو الفضل، ١٧٣/٢

(٢) أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحاس، النحوي المصري؛ كان من الفضلاء، وله تصانيف مفيدة منها: تفسير القرآن الكريم وكتاب إعراب القرآن وكتاب الناسخ والمنسوخ وكتاب في الاشتقاق، وتفسير أبيات سيبويه، وكتاب المعاني ، وكتاب الوقف والابتداء ، وكتاب في شرح المعلقات السبع ، وكتاب طبقات الشعراء وغير ذلك، أخذ النحو عن ابي الحسن علي بن سليمان الأخفش النحوي، وأبي إسحاق الزجاج، وابن الأنباري، ونفطويه، وأعيان أدباء العراق، وكان قد رحل إليهم من مصر، توفي بمصر ت: ٣٣٨ هـ، رحمه الله تعالى، انظر ترجمته: ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت١/ ٩٩. وانظر: السمعاني، عبد الكريم بن محمد، الأنساب، ت: عبد الرحمن بن يحيى، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ، ١٣ / ٤٤، وانظر: ابن الجزري، ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم =

فإنه رحمه الله تعالى؛ قد عني في تفسيره بالمفردة القرآنية من جميع جوانبها الدلالية، واهتم بها اهتماماً كبيراً فهو يقلّب ألفاظ القرآن الكريم على وجوهها المختلفة، ويفسرها التفسير الذي يتسق مع المعنى العام للنص القرآني، متخذاً من كلام العرب وأشعارها، شواهد تدلل على صحة معانيها، وفي ثنايا كتابه "معاني القرآن" تناثرت تصحيحاته الدلالية على بعض كلام العلماء، فهو –رحمه الله – يذكر أقوال العلماء والمفسرين ويعرضها عرضاً دقيقاً شاملاً فيوجه السديد الصائب؛ ويعترض الضعيف الذي لا تعضده لغة العرب.

وفي هذا البحث أحاول استقراء وتتبع هذه الألفاظ– التي اعتقد النحاس أن غلطاً قد حلّ في دلالتها، فوضعها بعض العلماء في غير موضعها، فنبّه على ذلك الغلط، وردّ تلك العبارات إلى دلالاتها الصحيحة التي وضعت لها في أصل اللغة، ثم أختار من هذه الألفاظ ما يوضح عنايته رحمه الله بهذه القضية في كتابه معاني القرآن الكريم – وذلك لمعرفة جهوده ومنهجه في تناولها، الأمر الذي سيوضحه هذا البحث في أربعة مطالب وفق الخطة الآتية:

المطلب الأول: مفهوم دلالة الألفاظ.

المطلب الثاني: أهلية النحاس للتصحيح الدلالي .

المطلب الثالث: منهج النحاس في التصحيح الدلالي.

المطلب الرابع : مظاهر التصحيح الدلالي للفظ القرآني.

الخاتمة: عرضت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

= محمد، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت ٣ / ٣٠٠.

المطلب الأول: مفهوم دلالة الألفاظ

ذكرت معظم كتب المعاجم واللغة صيغة "دلّ" بمختلف مشتقاتها، وكلها تشترك في نفس المعنى؛ وهو الإشارة إلى الشيء والإرشاد إليه؛ سواء أكان ذلك معنوياً أم حسياً.

فقد جاء في المعجم الوسيط لفظ: "دلّ عليه و إليه، يدلّ دَلالة: أرشد، ويقال: دلّه على الطريق ونحوه: سدّده إليه، أو أرشده إليه، فهو دالّ، والمفعول مدلول عليه وإليه، والدَّلالة والدِّلالة: الإرشاد، وتطلق الدَّلالة على ما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه من معنى أو معان"(١)

وفي لسان العرب" : دَلَّه على الشيء يَدُلُّه دَلاًّ ودَلالةً فانْدَلَّ: سَدَّده إليه، ودَلَلْته فانْدَلَّ؛ والدَّليل: الدَّال، وما يُستدل به، وقد دَلَّه على الطريق يَدُلُّه دَلالَةً ودِلالة ؛ والدَّليل والدِّلِّيلي: الذي يَدُلُّك؛ والاسم الدِّلالة والدَّلالة، بالكسر والفتح؛ وقوله تعالى: ﴿ ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ﴾(٢) ومعنى كون الشمس دليلاً: أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في مسيرها على أحوال الظل .

قال أبو عبيد:" إني امرؤ بالطرق ذو دلالات. والجمع أدلة وأدلاء، والاسم الدلالة بالكسر والفتح، والدلولة والدليلي.

قال سيبويه: الدليلي علمه بالدلالة ورسوخه فيها ودللت بهذا الطريق: عرفته، ودللت به أدل دلالة، وأدللت بالطريق إدلالاً والدليلة، والمحجة

(١) مصطفى، إبراهيم، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة: ١/٦١١.

(٢) سورة الفرقان الآية: ٤٥.

البيضاء، والدلال الذي يجمع البيعين والاسم الدلالة والدلالة ما جعلته للدليل أو الدلال"[١].

وفي أساس البلاغة للزمخشري: " دلّه على الطريق، وهو دليل المفازة، وهم إدلاؤها وأدللت الطريق، اهتديت إليه ودله على الصراط المستقيم"[٢].

أما مفهوم "الدلالة" اصطلاحاً: فيشير إلى "المعنى"، أي معنى المفردات الذي تحمله، والمعنى هو "الشيء المقصود من كلام المتكلم"[٣].

وهذا المفهوم هو ما يذهب إليه معظم دارسي اللغة، ومجال الدرس الدلالي فهو: "دراسة المعنى اللغوي على صعيدي المفردات والتركيب"[٤].

انطلاقاً من هذا المفهوم يتضح أن الدلالة بالنسبة إلى الألفاظ هي ما تدلنا عليه من معان توضح هدف المتكلم من كلامه. أي أنّ دلالة لفظ "الدلالة" في الاصطلاح ارتبطت بدلالته في اللغة، حيث انتقلت اللفظة من معنى الدلالة على الطريق، وهو معنى حسي، إلى معنى الدلالة على معاني الألفاظ.

وعليه يكون مفهوم الدلالة: "المعنى الذي يمكن أن تحمله المفردات"[٥]

---

(١) ابن منظور: لسان العرب. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط ١، ٢٠٠٣، ٩٨/١١

(٢) الزمخشري، محمود بن عمرو، أساس البلاغة. تحقيق عبد الرحيم محمود .دار المعرفة، بيروت لبنان، ص ١٣٤.

(٣) انظر: أحمد مختار عمر: علم الدلالة. عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط ١، ١٩٨٥، ص٣٦

(٤) قدور، أحمد محمد، مبادئ اللسانيات، دار الفكر ، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٩٩م ، ص ٢٧٩.

(٥) منصور، عفراء رفيق، التطور الدلالي لدى شعراء البلاط الحمداني، جامعة تشرين، ٢٠٠٩م، ص: ٧.

ولما أشكل على البعض فهم ومعرفة دلالات بعض هذه الألفاظ فوضعوها غير الموضع التي هي لها، قام النحاس رحمه الله ونبه على هذا الخطأ ثم ذكر الوجه الصحيح في تأويلها ومعناها وذلك بعد الرجوع والاحتكام في فهم دلالات هذه الألفاظ إلى الفصيح الصحيح من لغة العرب وإلى المأثور من أقوال الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل العلم.

وفي مطالب هذا البحث ما يوضح المقصود.

المطلب الثاني: أهلية النحاس للتصحيح الدلالي

من أجل معرفة أهلية النحاس من جهة تصحيحه لغيره من العلماء يكفي أن نذكر أمرين اثنين يتضح من خلالهما أهليته، ومقدرته على ذلك، وهما:

أ– آراء العلماء: فقد أثنى عليه علماء فطاحل عرفوا قدره، وفضله، وأشادوا بمآثره ومناقبه.

فقد ذكره ياقوت في معجم الأدباء فقال:" وأبو جعفر النحاس صاحب الفضل الشائع والعلم المتعارف الذائع، يستغني بشهرته عن الإطناب في صفته"(١).

وقال عنه الإمام الذهبي:" العلامة أبو جعفر إمام العربية كان ينظر في زمانه بابن الأنباري، وبنفطويه للمصريين"(٢).

وقال عنه الحافظ ابن كثير:" هو الإمام اللغوي المفسر الأديب، له مصنفات كثيرة ومفيدة في التفسير وغيره، لقي أصحاب المبرد، سمع الحديث عن النسائي وانتفع الناس به وبعلومه"(٣).

---

(١) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ، معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م ١/ ٤٦٨.

(٢) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، الطبعة:٢٠٠٦م، ١٢/٢٣.

(٣) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية ، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ ١١/ ٢٥٢.

وقال عنه الزبيدي: "كان واسع العلم غزير الرواية، كثير التأليف، وإذا خلا بقلمه جود وأحسن، وله كتب في القرآن مفيدة، وكان لا يتكبر أن يسأل الفقهاء وأهل النظر عما أشكل عليه في تأليفاته"(١).

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ١/ ٤٦٨.

شيوخه: تتلمذ النحاس رحمه الله على يد كبار العلماء والشيوخ المعروفين باتساع مداركهم اللغوية أمثال:

الأخفش الصغير[١] ونفطويه[٢] والزجاج[٣] وأبي بكر بن الأنباري[٤] وابن

(١) أبو الحسن سليمان بن الفضل، المعروف بالأخفش الأصغر النحوي المتوفى سنة ٣١٥ هـ ؛ كان عالماً، روى عن المبرد وثعلب وغيرهما، كان ثقة، وهو غير الأخفش الأكبر والأخفش الأوسط. انظر ترجمته: ابن خلكان ، وفيات ، ٣/ ٣٠١ ،وانظر: الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، ص: ١١٥.

(٢) أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي، الملقب نفطويه النحوي الواسطي؛ له التصانيف الحسان في الآداب، وكان عالماً بارعاً، ولد بواسط وسكن بغداد. وتوفي سنة ٣٢٣ هـ. انظر ترجمته: في طبقات الزبيدي ص: ١٥٤. وانظر: ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١/ ٤٧.

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزجاج النحوي؛ . الإمام اللغوي الشهير صاحب كتاب معاني القرآن كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين، له كتاب الأمالي، وكتاب الاشتقاق، ، وكتاب مختصر في النحو، ، وكتاب شرح أبيات سيبويه، ، وغير ذلك. أخذ الأدب عن المبرد وثعلب، رحمهما الله تعالى، وكان يخرط الزجاج، ثم تركه واشتغل بالأدب، فنسب إليه توفى سنة ٣١١ هـ. انظر ترجمته : الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، دار سعد الدين ، الطبعة: الأولى ، ٢٠٠٠م، ص: ٥٩. وانظر وفيات الأعيان ١/ ٤٩.

(٤) المتوفى سنة ٣٢٨ هـ صاحب كتاب "المشكل في معاني القرآن" قال عنه ابن كثير :"كان من بحور العلم في اللغة والعربية والتفسير والحديث" انظر : ابن كثير، إسماعيل بن عمر ، البداية والنهاية ، ط إحياء التراث ١١/ ٢٢٢.

كيسان[1] في علوم العربية.

وأمثال الإمام أبي جعفر محمد الطبري[2] وبقي ابن مخلد[3] في التفسير وعلوم القرآن.

ولو أردنا أن نستقصي من أخذ عنهم النحاس رحمه الله من أولئك العلماء

---

(١) أبو الحسن محمد بن أحمد الكيساني المتوفى سنة ٢٩٩ هـ ، كان نحويا بارعا يحفظ أقوال الكوفيين والبصريين وهو من أصحاب ثعلب. انظر ترجمته : الزبيدي، طبقات النحويين، ص ١٥٣.

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، الطبري، وقيل يزيد بن كثير ابن غالب، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله، وكان من الأئمة المجتهدين، وكان ثقة في نقله، وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها، وذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء في جملة المجتهدين توفي سنة عشر وثلثمائة ببغداد، رحمه الله . انظر: ترجمته: البداية والنهاية ط إحياء التراث ١١/ ١٦٥، ، وفيات الأعيان ٤/ ١٩١.

(٣) بقي بن مخلد بن يزيد أبو عبد الرحمن الأندلسي القرطبي الحافظ أحد الأعلام، وصاحب التفسير والمسند، وان إماماً زاهداً صواماً صادقاً، كثير النذر، مجاب الدعوة، قليل المثل، بحراً في العلم، مجتهداً، لا يقلد أحداً، بل يفتي بالأثر، وهو الذي نشر الحديث بالأندلس وكثره وليس لأحد مثل مسنده ولا تفسيره. قال ابن حزم: أقطع أنه لم يؤلف في الإسلام مثل تفسيره، ولا تفسير ابن جرير ولا غيره ، ولد في رمضان سنة إحدى ومائتين، ومات في جمادى الآخرة سنة ست وسبعين. انظر ترجمته: السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، طبقات المفسرين، ت: علي محمد عمر، مكتبة وهبة– القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦، ص: ٤٠.

الأجلاء، لكانوا من الكثرة بحيث يعسر عدهم. أو أردنا جمع ما قيل فيه من مدح لطال الحديث. لكن لعل فيما ذكر من أقوالهم وشهاداتهم ما يدل على اعترافهم له بالعلم وشهادتهم له برسوخ القدم وطول الباع، مما يؤهله للاستدراك والتصحيح لغيره من العلماء.

المطلب الثالث: منهجه في التصحيح.

أمّا عن منهج النحاس رحمه الله تعالى في التصحيح الدلالي؛ فيمكن إيجازه بأنّه بعد أن يذكر الآية الكريمة؛ يبدأ في اختيار بعض الألفاظ التي اعتقد أنّ العلماء قد غلطوا في فهم دلالتها ؛ فينقل ذلك الغلط– وقد ينسبه لصاحبه وقد يجعله مبهما ثمّ يحلله، ثمّ يذكر رأيه الخاص في ذلك، وقد ينقل عن كبار العلماء الذين أخذ عنهم– رأيهم ويتبناه، وقد يناقشه وقد يخرج برأي مستقل، سالكا بذلك كله المنهج العلمي الدقيق بمعنى أنّه لا يردُّ رأياً أو ينتصر لرأي آخر إلا عزز رأيه بالأدلة المعتبرة.

فهو يستشهد بآيات من القرآن الكريم، أو الحديث الشريف، أو كلام العرب، وحجته في ذلك أن القرآن نزل بأفصح لسان وأوضح بيان على أسلوب العرب في تخاطبهم، وكلامهم، فيجب فهمه على منهاج اللسان العربي الفصيح، وفي أمثلة هذا البحث ما يحدد معالم هذا المنهج ويجليه.

المطلب الرابع : مظاهر التصحيح الدلالي عند النحاس:

١) تصحيحه لأبي عبيدة المتوفى سنة ٢١٠هـ:

هو العلامة البحر أبو عبيدة معمر بن المثنى، صاحب كتاب مجاز القرآن الكريم، قال عنه الجاحظ: "لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه"[١].

والنحاس –رحمه الله– مع إمامة أبي عبيدة يحكي أقواله ويرد منها ما لا يتفق مع اللغة ، وفيما يلي أمثلة على ذلك:

أ– دلالة كلمة " صور":

الواردة في سياق قوله تعالى:﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[٢] حيث يقول:" قال أبو عبيدة هو جمع "صورة"، قال أبو جعفر يذهب إلى أن المعنى: فإذا نفخ في صور الناس الأرواح. وهذا غلط عند أهل التفسير واللغة.

روى أبو الزعراء[٣] عن عبد الله بن مسعود ﴿فإذا نفخ في الصور﴾ قال في

---

(١) الأدنه وي، أحمد بن محمد، طبقات المفسرين، ت: سليمان الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ١٩٩٧م، ص: ٣٠.

(٢) سورة المؤمنون الآية: ١٠١.

(٣) عبد الله بن هانئ الحضرمي. روى عن علي وعبد الله بن مسعود. كان ثقة وله أحاديث. ذكره ابنُ حِبَّان فِي كتاب "الثقات". انظر ترجمته: ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ت: محمد عبد القادر ، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٩٠م ٦/ ٢١١ وانظر المزي: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ت: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٩٨٠ م ١٦/ ٢٤١.

القرن، روى عطية[١] عن سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر قال المسلمون يا رسول الله فما نقول قال: قولوا "حسبنا الله ونعم الوكيل عليه توكلنا"[٢].، ولا يعرف أهل اللغة في جمع صورة إلا صوراً ولو كان جمع صورة لكان ثم نفخ فيها"[٣].

ففي هذا المثال يصحح النحاس لأبي عبيدة رأيه مع علو كعبه ومبلغه من اللغة ما ذهب إليه من أنْ يكون المقصود بـ (الصوْر) المنفوخ فيه في الآية الكريمة هو صور الإنسان، والمراد: أنّ النفخ يكون في الأجساد لتعاد إليها الروح.

قال أبو عبيدة في المجاز:" يقال إنها جمع صورة تنفخ فيها روحها فتحيا، بمنزلة قولهم: سور المدينة واحدتها سورة..."[٤].

---

(١) هو عطية بن سعد بن جنادة أبو الحسن العوفي الكوفيَ ،من مشاهير التابعين، روى عن ابن عباس، وأبي سعيد، وابن عمر . وعنه :ابْنُهُ؛ الحسن . انظر ترجمته: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة طبعة، ١٩٨٥ م ٥/ ٣٢٥.

(٢) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، ت شاكر، (٣٣٣٤)، صححه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة برقم ١٠٧٩، انظر: الألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة ، مكتبة المعارف، ٣/ ١٥٣

(٣) أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد، معاني القرآن، ت: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة. الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ ٤/ ٤٨٦.

(٤) أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، معمر بن المثنى، ت: محمد فؤاد، دار الكتب العلمية، القاهرة، طبعة:١٣٨١ هـ ، ص١٩٦.

وقد ذكرت كتب التفسير والقراءات أن الحسن البصري قرأها بفتح الواو "جمع صورة" وتأوله على أن المراد النفخ في الأجساد لتعاد"[(١)].

قال السمين الحلبي:" وحكى مثله جماعة وزادوا كالصوف جمع صوفة، والثُّوم جمع ثومة، وبسر جمع بسرة، قالوا والمراد النفخ في الصور وهي الأجساد لتعاد فيها الأرواح وأيَّدوا هذا القولَ بقراءة الحسنِ المتقدمة" [(٢)].

وقد أوضح النحاس غلط ذلك القول وبيّن أن "الصوْر" في لغة العرب هو" القرن" وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصوْر ففسره بما تعرفه العرب من كلامها.

وبالرجوع إلى كلام النحاس رحمه الله تعالى وكلام أهل اللغة والتفسير يتبين دقة هذا التصحيح، وذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن الصور هو" القرن" وهذا هو معناه الدلالي الصحيح والمعروف في كلام العرب.

قال الجوهري في الصحاح:" والصُّورُ: القَرْن.

---

(١) السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ت: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق ، ٤/ ٦٩٣، وانظر: ابن حجر ، أحمد بن علي، فتح الباري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩م ٨/ ٢٨٨.

(٢) قراءة العامّة بسكون الواو، وابن عباس والحسن بفتح الواو جمع صورة أيضا؛ وهو شاذ. انظر: المراجع السابق.

ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: ١٤٢٠هـ، ٢/ ٥٩.

قال الراجز:

لقد نَطَحْناهُمْ غَداةَ الجَمْعَيْن ﴿ نَطْحاً شديداً لا كَنطحِ الصُّورَين[١]

الوجه الثاني: أن القراءة التي نسبت إلى الحسن البصري لا تصح نسبتها إلى الأئمة الذين يحتج بقراءتهم[٢].

قال أبو الهيثم: " ولا نعلم أحداً من القراء قرأها فأحسن صُوركم، فمن قرأ: ونفخ في الصُّوَر، أو قرأ: فأحسن صُوركم، فقد افترى الكذب، وبدل كتاب الله"[٣].

الوجه الثالث: أن "صورة" تجمع على "صُوَر" ولا تجمع على" صُوْر" كما ذكر أبو عبيدة، قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[٤]

كما أن الكلمات التي ذكرت– احتجاجا له– كالصوفة والبسرة... ليست بجموع وإنما هي أسماء جموع يفرق بينها وبين واحدتها بالتاء.

---

(١) الجوهري ،إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م ٢/ ٧١٦.مادة [صور].

(٢) قال عنها ابن حجر في كتاب تفسير القرآن:" ليست بقراءة ، وأثبتها أبو البقاء العكبري في كتابه "إعراب الشواذ" انظر: ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة –بيروت، ٢٨٩/٨. وانظر: العكبري، عبد الله بن الحسين، إعراب القراءات الشواذ، ت: محمد السيد عزوز، عالم الكتب، ط الأولى١٤١٧هـ، ٤٨٨/١. وانظر: وانظر الجوهري، الصحاح، ٧١٦/٢ .

(٣) لسان العرب ٤/ ٤٧٥ مادة (صور).

(٤) سورة غافر الآية ٦٤.

قال الفراء: "كل جمع على لفظ الواحد المذكر سبق جمعه واحده، فواحده بزيادة هاء فيه، وذلك مثل الصوف والوبر والشعر والقطن والعشب فكل واحد من هذه الأسماء اسم لجميع جنسه، وإذا أفردت واحدته زيدت فيها هاء؛ لأن جمع هذا الباب سبق واحده، ولو أن الصوفة كانت سابقة للصوف لقالوا صوفة وصوف وبسرة وبسر كما قالوا غرفة وغرف، وزلفة وزلف، وأما الصور القرن فهو واحد لا يجوز أن يقال واحدته صورة وإنما تجمع صورة الإنسان صورا؛ لأن واحدته سبقت جمعه"(١).

الوجه الرابع: أن هذا القول خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة ، فالذي عليه أهل السنة والجماعة أن الصور بوق ينفخ فيه(٢).

قال الأزهري بعد نقل الخلاف:" ولا يجوز عندي غير هذا؛ وهو قول أَهل السنَّة والجماعة"(٣).

الوجه الخامس: أن هذا القول مخالف لتفسير الرسول صلى الله عليه وسلم حيث فسره بالبوق.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال:" جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما الصوْر؟ قال: الصور قرن ينفخ فيه...الحديث"(٤).

---

(١) الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ، ١٣/ ٢٨.

(٢) انظر: فتح الباري ٢٨٩/٨ باب نفخ الصور.

(٣) الأزهري، محمد الهروي، تهذيب اللغة، ت: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٢٠٠١م، ١٢/ ١٦٠.

(٤) قال الشيخ الألباني: صحيح، انظر: انظر: الترمذي، محمد بن عيسى ، سنن الترمذي، ت =

وفي النهاية لابن الجزري:" الصور "هو القرن الذي ينفخ فيه عند بعث الموتى إلى المحشر...لأن الأحاديث تعاضدت عليه تارة بالصور، وتارة بالقرن"(١).

الوجه السادس: أن الله تعالى قال: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ الزمر: ٦٨.

فقد أخبر الحق سبحانه أنه ينفخ في الصور مرتين، ولو كان المراد بالصور النفخ في الصُوَر التي هي الأبدان لما صح أن يقال: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ﴾**؛ لأن الأجساد تنفخ فيها الأرواح عند البعث مرة واحد**(٢).

الوجه السابع: "لو كان المراد نفخ الروح في تلك الصور لأضاف تعالى ذلك النفخ إلى نفسه؛ لأن نفخ الأرواح في الصور يضيفه الله إلى نفسه، كما قال ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ **الحجر: ٢٩.**

وقال: ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ الأنبياء: ٩١.

وقال: ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ﴾ المؤمنون: ١٤

وأما نفح الصور بمعنى النفخ في القرن، فإنه تعالى لا يضيفه إلى نفسه

= شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة: الثانية، ١٩٧٥ م، ٤/٦٢٠.

(١) الجزري، مجد الدين أبو السعادات، النهاية في غريب الحديث والأثر، ت: طاهر الزاوى، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م، ٣/ ٦٠.

(٢) انظر: ابن عادل، عمر بن على الدمشقى، تفسير اللباب، دار الكتب العلمية . بيروت، ٢٠٩١/١.

كما قال: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨﴾ المدثر: ٨.

وقال: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ الزمر: ٦٨.

الوجه الثامن: استنكار جماعة كبيرة من أهل العلم لهذا التفسير المنقول عن أبي عبيدة .

قال الإمام الطبري: "وليس الصور جمع صورة كما زعم بعضهم...بدليل الأحاديث المذكورة، والتنزيل يدل على ذلك...وإلى هذا التأويل ذهب أبو عبيدة معمر بن المثنى، وهو مردود بما ذكرنا"[(١)].

وبعد عرض هذه الوجوه، يمكن التأكيد على صحة ما ذهب إليه النحاس، وأن المعنى الصحيح الدقيق لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾. هو القرن، وليس جسد الإنسان أو روحه التي ينفخ فيها لتعود إليها الحياة .

ب– دلالة كلمة " يأتمرون".

الواردة في سياق قوله تعالى ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ القصص: ٢٠.

حيث قال:" قال أبو عبيدة" ✍ ويَعْدُو على المَرء ما يَأْتَمِرْ[(٢)]

قال أبو جعفر وهذا القول غلط، ولو كان كما قال لكان يتآمرون فيك أي

(١) القرطبي، محمد بن أحمد، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ت: الصادق بن محمد، دار المنهاج، الرياض، ط الأولى، ١٤٢٥هـ، ص: ٤٨٧

(٢) ورد البيت في اللسان ٩٠/٥ مادة(أمر) منسوبا لامرئ القيس. ،كما ورد في اللسان ٨٩/٥ منسوبا للنمر بن تولب...وقُوله شَبيه بقَوْلهمْ من حفر حُفْرَة وَقع فِيهَا ...كَأَن نَفسه أَمرته بِشَيْء فائتمر أَي فأطاعها أَو أَن هَوَاهُ دَعَاهُ إِلَى شَيْء فتابعه.

يتشاورون فيك أي يستأمر بعضهم بعضاً، ومعنى" يأتمرون" يهمّون من قوله جل وعز: ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ الطلاق:٦ [١].

وفي هذا المثال يرى أبو عبيدة أنّ معنى قوله تعالى: ﴿ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ القصص: ٢٠، أي: "يتشاورون في شأنك ليقتلوك". محتجاً بقول الشاعر النمر بن تولب[٢] السابق.

وقد أنكر عليه النحاس هذه الدلالة، ووضح أنه لو كان المعنى كذلك لكان من الواجب القول: "يتآمرون فيك"[٣] وليس يأتمرون بك .

والدلالة الصحيحة للكلمة أن تكون بمعنى" يهُمُّون بك" مثلها في معنى قوله تعالى:﴿ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ﴾فليس المقصود "تشاوروا بالمعروف" وإنما" هُمُّوا بالمعروف واعْزِمُوا عليه .

وبالرجوع إلى كلام أهل التفسير واللغة؛ يتبين دقة هذا التصحيح، وذلك من وجوه:

الوجه الأول: ذكرت كتب المعاجم واللغة أن الأصل الدلالي لكلمة الائتمار هو: الهمّ والعزم على أمر ما.

---

(١) معاني القرآن،٥/١٧٠.

(٢) النمر بْن تولب بن زهير بْن عبد كعب بْن عوف، وعوف هُوَ عكل. وفد على النبي صلى الله عليه وسلم مسلما، قَالَ الأصمعي: كَانَ النمر بْن تولب أحد المخضرمين من الشعراء، وَقَالَ أَبُو عبيدة: وَكَانَ شاعر الرباب فِي الجاهلية، ولم يمدح أحدًا ولا هجا، وأدرك الإسلام وَهُوَ كبير انظر ترجمته: ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ت: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م ٤/١٥٣٣.

(٣) معاني القرآن،٥/١٧٠.

قال في لسان العرب:" ويقال ائتمروا به: إذا همّوا به، وقيل المؤْتمِرُ الذي يَهُمُّ بأمر يفعله"(١).

وقال الرازي في مختار الصحاح:" أَمَرَهُ وَ "أْتَمَرَ الْأَمْرَ" أَيِ: امْتَثَلَهُ، وَأْتَمَرُوا بِهِ: إِذَا هَمُّوا بِهِ "(٢)

الوجه الثاني: لا دليل في قول الشاعر: ويَعْدُو على المَرء ما يَأْتَمِرْ" على معنى المشاوَرَة.

فقد بين ابن قتيبة خطأ الاحتجاج بهذا الشاهد فقال:" وهذا غلط بيّن لمن تدبر، ومضادة للمعنى. كيف يعدو على المرء ما شاور فيه، والمشاورة بركة وخير؟! وإنما أراد: يعدو عليه ما هم به للناس من الشر.

ومثله قولهم: من حفر حفرة وقع فيها"(٣).

الوجه الثالث: ورود اللفظ بمعنى "الحثّ والهمّ " في قوله تعالى– سورة الطلاق–:" ﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾سورة الطلاق الآية :٦.

قال ابن قتيبة(٤):" لم يرد تشاوروا، وإنما أراد: هموا بالمعروف واعزموا عليه"(٥).

---

(١) لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة ٣٠/٤ مادة (أمر).

(٢) الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ محمد،: المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ،ص: ٢٢.

(٣) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، غريب القرآن، ت أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، ص: ٣٣١.

(٤) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل المروزي، النحوي اللغوي صاحب كتاب: " غريب القرآن الكريم " و" غريب الحديث " و" مشكل القرآن " أقام بالدِّينورِ مدةً قاضياً فنسب إليها.، توفي سنة ٣٢٢هـ . انظر ترجمته ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٤٢/٣.

(٥) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: ٣٣١ .

وقال مكي بن أبي طالب[١]:" المعنى: هموا بالمعروف واعزموا عليه وقد قيل: وأتمروا : تشاوروا، وليس بشيء"[٢].

الوجه الرابع: أشعار العرب، تدل على هذا المعنى؛ ومنها قول الشاعر:

مَـنْ يَـأْتَمِرْ لِلْخَيْـرِ فِيْمَـا قَصَـدُهْ ✍ تُحْمَـدْ مَسَـاعِيْهِ وَيُعْلَـمْ رَشَـدُهْ[٣]

قال الأشموني[٤] شارح ألفية ابن مالك:" ائتمر للخير: باشره. قصده:

(١) أبو محمد مكي بن أبي طالب بن حموش المقرئ؛ أصله من القيروان، وانتقل إلى الأندلس وسكن قرطبة، وهو من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية، كثير التواليف في علم القرآن، مجوداً للقراءات السبع عالماً بمعانيها. كان خيراً فاضلاً متواضعاً متديناً مشهوراً بإجابة الدعاء، توفي سنة ٤٣٧هـ بقرطبة . انظر ترجمته: ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،٥/٢٧٤.

(٢) مكي بن أبي طالب، حَمّوش بن محمد بن مختار، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، ت: مجموعة رسائل جامعية ،جامعة الشارقة، كلية الشريعة ، طبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م،١٢/ ٧٥٤٨.

(٣) انظر: الأشموني، حسن بن قاسم، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ت: عبد الرحمن علي، دار الفكر العربي ، ط الأولى ١٤٢٨هـ، ص ١٤٣٤.

(٤) هو علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن نور الدين الأشموني "٨٣٨هـ-٩٠٠هـ". نحوي، فقيه، متكلم، أصله من أشمون بمصر. ولي القضاء في دمياط. كان شيخا بارعا. من مؤلفاته: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، وهو المعروف باسم "شرح الأشموني". انظر ترجمته: الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م ،٥/ ١٠.

عزم على القيام به"[1].

وعلى هذا يكون تفسير "يأتمرون" بمعنى "يهمّون ويعزمون" أدق وأصح ويكون معنى الآية "أن الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى قد أخبر موسى بذلك لما رأى فرعون ومن معه أنهم قد "هموا وعزموا" على قتل موسى، ولهذا قال له ناصحاً ﴿فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠﴾ القصص: ٢٠

وكأن فرعون ومن معه قد تجاوزوا مرحلة التشاور إلى مرحلة العزم والتنفيذ.

قال الفخر الرازي:"...انتشر الحديث في المدينة وانتهى إلى فرعون وهمّوا بقتله. أي: أن فرعون ومن معه هموا وعزموا على قتل موسى عليه السلام"[2].

ج– دلالة كلمة" بعض":

الواردة في سياق قوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ آل عمران: ٥٠.

حيث يقول:" قال أبو عبيدة:" يجوز أن يكون "بعض" بمعنى "كل" وانشد للبيد:

تـــراك أمكنـــة إذا لـــم أرضـــها ✍ أو يـرتبط بعـض النفـوس حمامهـا[3].

وهذا القول غلط عند أهل النظر من أهل اللغة، لأن البعض والجزء لا

(١) الأشموني، حسن بن قاسم، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ت: عبد الرحمن علي ، دار الفكر العربي ، ط الأولى ١٤٢٨هـ ، ص ١٤٣٤.

(٢) الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثالثة١٤٢٠ هـ ، ٢٤/ ٥٨٧.

(٣) لسان العرب ٧/ ١١٩ مادة (بعض).

يكونان بمعنى الكل،...ولأن عيسى صلى الله عليه وسلم إنما أحل لهم أشياء مما حرمها عليهم موسى من أكل الشحوم وغيرها ولم يحل لهم القتال ولا السرقة، ولا الفاحشة منها.

والدليل على هذا أنه روي عن قتادة أنه قال: جاءهم عيسى بألين مما جاء به موسى صلى الله عليهما لأن موسى جاءهم بتحريم الإبل وأشياء من الشحوم فجاءهم عيسى بتحليل بعضها"(١).

وفي هذا المثال يرى أبو عبيدة أن كلمة "بعض" ههنا بمعنى "كل". محتجاً على المعنى بقول الشاعر لبيد: أو يرتبط "بعض" النفوس حمامها

وقد اعترض النحاس على هذه الدلالة وبيّن أن "بعض" ههنا على دلالتها الأصلية(٢).

وبالرجوع إلى كلام النحاس رحمه الله، وكلام أهل اللغة والتفسير؛ يمكن التأكيد على دقة هذا التصحيح، وذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن المعروف والمشهور في لسان العرب أن" البعض" هو شيء من شيء.

قال ابن منظور:" بَعْضُ الشيء طائفة منه والجمع أَبعاض"(٣).

ونقل الإجماع في ذلك عن أهل النحو، فقال:" قال أَبو العباس أَحمد بن يحيى(٤).

---

(١) معاني القرآن للنحاس١/ ٤٠٤.

(٢) انظر: معاني القرآن للنحاس١/٤٠٤.

(٣) لسان العرب ٧/ ١١٩ مادة (بعض).

(٤) هو: ثعلب العلامة المحدث، إمام النحو، أبو العباس، أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني، =

أَجمع أَهل النحو على أَن البعض شيء من أَشياء أَو شيء من شيء"[١].

الوجه الثاني: ليس لأبي عبيدة في ما أنشد للشاعر لبيد دليل على هذا المعنى.

قال ابن سيده[٢]:" وليس هذا عندي على ما ذهب إليه أهل اللغة من أن البعض في معنى الكل، هذا نقض ولا دليل في هذا البيت لأنه إنما عنى ببعض النفوس نفسه"[٣].

الوجه الثالث: لو كان لفظ "البعض" بمعنى "الكل" للزم أن يحل لهم – عليه السلام– كل ما كان محرم عليهم كالربا والسرقة والقتل .

قال السمين الحلبي بعد نقله لكلام أبي عبيدة: "وقد رد الناس عليه بأنه كان يلزم أن يحل لهم الربا، والسرقة، والقتل، لأنها كانت محرمة عليهم، فلو كان المعنى: ولأحل لكم كل الذي حرم عليكم لأحل لهم ذلك كله..، ولا حاجة إلى إخراج اللفظ عن مدلوله مع إمكان صحة معناه"[٤].

= صاحب "الفصيح" والتصانيف. قال الخطيب ثقة حجة، ديِّن صالح، مشهور بالحفظ. وقال المبرد: أعلم الكوفيين ثعلب. فذُكر له الفراء، فقال: لا يعشره. انظر ترجمته: ابن خلكان، وفيات الأعيان ١/ ١٠٢.

(١) لسان العرب ٧/ ١١٩ مادة (بعض).

(٢) الحافظ أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده المرسي؛ كان إماماً في اللغة والعربية حافظاً لهما وقد جمع في ذلك جموعاً، من ذلك كتاب " المحكم " في اللغة، وله كتاب " المخصص"، وغير ذلك من المصنفات النافعة. وكان ضريراً، وأبوه ضريراً، وكان أبوه أيضاً قيماً بعلم اللغة، وعليه اشتغل ولده في أول أمره، انظر ترجمته: ابن خلكان، وفيات الأعيان ٣/٣٣٠.

(٣) لسان العرب ١١٩/٧ مادة (بعض).

(٤) السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ت: الدكتور أحمد =

الوجه الرابع: أنه "لا قرينة تخرج دلالة "بعض" عن معناها الأصلي.

ذكر ذلك القرطبي[١] فقال:" وقد يوضع "البعض" بمعنى "الكل" إذا انضمت إليه قرينة تدل عليه[٢]؛ وليس ههنا قرينة دالة على خروج اللفظ عن ظاهر معناه.

الوجه الخامس: كلام السلف، وجمع من أهل التفسير كالطبري وابن أبي حاتم والبغوي وابن كثير وغيرهم، في أن عيسى عليه السلام، نسخ بعض شريعة التوراة وأحل لهم أشياء مما حرمها عليهم موسى.

قال ابن كثير بعد تفسير الآية: "فيه دلالة على أن عيسى عليه السلام نسخ بعض شريعة التوراة وهو الصحيح من القولين"[٣].

ومن المفسرين من نقل بعض الروايات عن بني إسرائيل في بيان هذا البعض.

= الخراط، دار القلم،٣ /٢٠٤.

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسِّر ولد في قرطبة أوائل القرن السابع الهجري بقي بقرطبة حتى سقوطها، وخرج منها نحو عام ٦٣٣هـ، فرحل إلى مصر واستقرَّ بها حتى توفي سنة ٦٧١هـ، وقبره بالمنيا شرق النيل .انظر ترجمته: الزركلي: الأعلام ٣٢٢/٥. والسيوطي: طبقات المفسرين ص٧٩. والداودي: طبقات المفسرين ٦٥/٢، ٦٦.

(٢) انظر :القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية– القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م ٩٦/٤.

(٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم ، ت: سامي بن محمد ، دار طيبة الطبعة: الثانية ١٩٩٩م ،٢/ ٤٥.

قال القاسمي[1] في محاسن التأويل:" من البعض الذي أحله عيسى عليه السلام لهم فعل الخير في السُّبُوت.. وأشياء من الطير فأحلها عيسى عليه السلام"[2].

وقال أبو حيان:" قال ابن جريج[3]: أحل لهم لحوم الإبل والشحوم"[4].

وقال الربيع: "وأشياء من السمك وما لا ضَئْضَئَةَ له من الطير، وكان ذلك في التوراة محرما" [5]

وبناء على هذا يكون ما ذهب إليه النحاس أدق وأصح وأن "البعض" في قوله تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ آل عمران: ٥٠. على دلالتها الأصلية.

وبقي التنبيه على أنّ ما نقلناه عن كتب التفسير في بيان هذا البعض أنّه

---

(١) هو أبو الفرج محمد جمال الدين بن أبي بكر القاسمي الكيلاني الحسني الدمشقي، العلامة والفقية السوري ولد لعام ١٢٨٢هـ . عالم فقيه، كان إمام الشام في عصره، توفي في دمشق عام ١٣٣٢هـ . انظر ترجمته: مقدمة رشيد رضا لكتاب القاسمي" قواعد التحديث

(٢) القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، ت: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١: ١٤١٨ هـ ٢/ ٣٢١.

(٣) أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، القرشي بالولاء المكي، ، أحد العلماء المشهورين، ويقال إنه أول من صنف الكتب في الإسلام، كانت ولادته سنة٨٠هـ ، وتوفي سنة ١٤٩هـ ،رحمه الله تعالى انظر ترجمته : ابن خلكان، وفيات الأعيان ٣/ ١٦٣.

(٤) أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي، تفسير البحر المحيط، ت: صدقي جميل، دار الفكر، بيروت ١٤٢٠ هـ ٣/ ١٦٧.

(٥) القاسمي، محاسن التأويل، ٢/ ٣٢١.

وإن كان الأولى القول أن يبقى هذا البعض على إطلاقه، ولو كان لنا مصلحة في تعيين ذلك لبينه الله عز وجل لنا في كتابه العزيز.

لكن ما نقل من هذه الروايات ما هو إلا للتديل على فهم السلف رحمهم الله تعالى لدلالة لفظ "بعض" وأنها على دلالتها الأصلية.

٢- تصحيحه للفراء المتوفى سنة ٢٠٧هـ :

العلامة أبو زكريا يحيى بن زياد، من علماء اللغة المبرزين، وإماماً لامعاً من أئمتها المشهورين.

قال فيه أبو العباس ثعلب:" لولا الفراء لما كانت عربية"(١).

وقال أبو بكر بن الأنباري:" لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من علماء العربية إلا الكسائي والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس"(٢).

ومع تلك المكانة العالية، كان النحاس يعرض لأقواله ويتعقبها، فيوجه السديد الصائب، ويفند الضعيف الذي لا شاهد له في لغة العرب.

وفيما يلي أمثلة دالة على ذلك:

أ- دلالة كلمة "جُلُودُهُمْ":

الواردة في سياق قوله تعالى﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠ ﴾ فصلت: ٢٠.

حيث قال:" قال الفراء "الجلد" ههنا والله أعلم "الذكر" كني عنه، كما

(١) ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله، معجم الأدباء، مطبعة هندية، ط٢ ، ١٩٢٣، ٢٧٨/٧.

(٢) نفس المرجع السابق.

قال تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ النساء: ٤٣، والغائط الصحراء[١]، قال أبو جعفر وقال غيره: هو الجلد بعينه.

وروى أبو الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال: يجادل المنافق عند الميزان، ويدفع الحق، ويدعي الباطل، فيختم على فيه، ثم تستنطق جوارحه، فتشهد عليه ثم يطلق عنه فيقول: بعداً لكنّ وسحقاً إنما كنت أجادل عنكنّ"[٢].

وفي هذا المثال يرى الفراء أن المقصود بـ"الجلود" في قوله تعالى﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ﴾ هي الفروج على طريق أسلوب الكناية في القرآن، فهي عنده كالكناية عن الخلاء في قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ المائدة: ٦، وقد اعترض عليه النحاس وبيّن أنّ هذا التأويل فيه نظر. والصحيح أن يكون المقصود "الجلود بأعيانها".

ذلك أن العرف لم يجر على استخدام الجلد في الدلالة على الفروج. وهو قول أكثر المفسرين. ويقوي النحاس رأيه بالمأثور من الأقوال.

وبالرجوع إلى كلام أهل اللغة والتفسير؛ يتبين دقة هذا التصحيح، وذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن تفسير الجلود بالفروج على خلاف المعروف والمشهور على لسان العرب.

فقد وصفه ابن عاشور بالتعنت فقال:" ومن غريب التفسير قول من زعموا

(١) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله، معاني القرآن ت: أحمد يوسف النجاتي، دار المصرية، مصر، الطبعة: الأولى٣/ ١٦.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٢٥٧.

أن الجلود أريد بها الفروج، ونسب هذا للسدي والفراء، وهو تعنت في محمل الآية لا داعي إليه بحال"[١].

الوجه الثاني: أن اللفظ ورد في القرآن الكريم في أربعة مواضع غير هذا الموضع ودلت في تلك المواضع على معناها الأصلي. هذا كما أن القرآن الكريم صرح بالفروج ولم يكنّ عنها في كثير من المواضع فقال: ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ الأحزاب: ٣٥.

وقال أيضا: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ المؤمنون: ٥

الوجه الثالث: أنه لا دليل ولا قرينة دالة على نقل المعنى الحقيقي إلى المعنى الكنائي.

ذكر ذلك الإمام الطبري فقال:" فليس بالأغلب على معنى الجلود ولا بالأشهر، وغير جائز نقل معنى ذلك المعروف على الشيء الأقرب إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها"[٢].

وبناء على ذلك فالجلود هي الجلود على الحقيقة وليست الفروج على أسلوب الكناية، وهو التأويل الذي رجحته أكثر كتب التفسير فذكرت وجوها متعددة في تخصيص الله لذكرها دون سائر الجوارح.

قال ابن عاشور:" وتخصيص الجلود بالشهادة على هؤلاء دون بقية الجوارح، لأن الجلد يحوي جميع الجسد لتكون شهادة الجلود عليهم شهادة على أنفسها"[٣].

---

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، الدار التونسية، ١٩٨٤هـ، ٢٤/٢٦٧.

(٢) الطبري، جامع البيان ت شاكر ٢١/٤٥١.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير ٢٤/ ٢٦٧.

ب– دلالة كلمة" يعش":

الواردة في سياق قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ الزخرف: ٣٦.

حيث قال:" روى سعيد عن قتادة قال: "يعش" يعرض، وقال أبو عبيدة" يعش" تظلم عينه[١].

وروى عكرمة عن ابن عباس يعمى، قال أبو جعفر يجب على قول ابن عباس أن تكون القراءة ﴿وَمَن يَعْشُ﴾ بفتح الشين.

وأما قول قتادة " يعش" يعرض وهو قول الفراء فغير معروف في اللغة. إنما يقال عشا يعشو إذا مشى ببصر ضعيف. قال الحطيئة:

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إلَى ضَوْءِ نَارِهِ ✍ تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدِ[٢]

ونظير هذا (عرج الرجل) يعرج أي: مشى مشية الأعرج، وعرج يعرج صار أعرج، وأصح ما في هذا قول أبي عبيدة"[٣].

وفي هذا المثال يصحح النحاس للفراء رأيه الذي مال إليه من أن تكون كلمة "يعش" بمعنى "يعرض". ذلك لأنه على غير المعروف والمشهور في لغة العرب. والصحيح أن تكون" يعش" بمعنى "تظلم عينه".

---

(١) أبو عبيدة، معمر بن المثنى ، مجاز القرآن مجاز القرآن ، ت: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى– القاهرة، الطبعة: ١٣٨١ هـ ٢/ ٢٠٤.

(٢) لسان العرب ٤/ ٢٩٦٠.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٣٥٧.

وبالرجوع إلى كلام أهل اللغة والتفسير؛ يتبين دقة هذا التصحيح، وذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن أصل كلمة "يَعْش" من مادة العشو.

والعشو هو: سوء البصر بالليل والنهار.

ومنه الرجل الأعشى، وهو الذي ضعف بصره، فلا يبصر ليلًا، فهو خير من الأعمى.

قال في محيط اللغة:" العُشُو وعَشَا: فعل فِعْل الأعشى. وهو يعشي بصره ويعشوه: يجعله كالأعشى وهو السيء البصر.

والذي لا يبصر بالليل أيضا. وقد عَشَا عَشاً. وناقة عشواء: كأنَّها لا تُبصِر ما أمامَها فتخبِطُ كلَّ شيء بيديها"(١).

الوجه الثاني: تردد هذه الكلمة بتصريفاتها المختلفة في أشعار العرب وأمثالهم السائرة بالمعنى اللغوي المعروف وهو سوء البصر.

فمن شواهد أشعارهم قول حاتم:

أعشو إذا ما جارتي برزت ✍ حتى يواري جارتي الخدر(٢).

وهذا البيت كأنه جواب لسؤال يوجه إلى حاتم : فيقال له كيف تصنع إذا برزت الجارة من خدرها وتمشت بين المضارب والبيوت ؟

فقال إني إذ ذاك " أعشو" أي: أغض عيني وأغمضهما فلا أعود أبصرها حتى تدخل خدرها، وتتوارى فيه(٣).

(١) الصاحب بن عباد، إسماعيل بن العباس ، المحيط في اللغة، ، ١/ ١٠٨.

(٢) البغدادي، عبد القادر بن عمر ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ت : اميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: ١٩٩٨م، ٩/ ٩٦.

(٣) المرجع السابق.

قال صاحب خزانة الأدب:" وقد تجوز حاتم فاستعمل العشى هنا بمعنى غض العين، أو تخزير الجفن بحيث لا يعود يبصر إلا كما يبصر الأعشى الضعيف البصر"(١).

ومن ذلك أيضا قول الحُطَيئة:

مَتى تَأتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ ناره ✍ تجد خيرَ نارٍ، عندها خيرُ موقد(٢).

وفي هذا البيت يمدح الحطيئة ابن شماس، حيث وَصفه بِأَن ناره موقدة بِاللَّيْلِ.

والشاهد في "تعشو إِلَى ضوء" أي تنظر إليها نظر العشي، لما يضعف بصرك من عظم الوقود، واتساع الضوء.

وهذا عند العرب غاية المدح بالكرم وقرى الضيفان(٣).

قال الشوكاني: "والمعنى المبالغة في ضوء النار وسطوعها بحيث لا ينظرها الناظر إلا كما ينظر من هو معشى البصر لما يلحق بصره من الضعف عند ما يشاهده من عظم وقودها"(٤).

ومن طريف ما يذكر أنه يقال أن هذا أمدح بيت عرفته العرب ولما سمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه هذا البيت فقال: ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم(٥).

---

(١) المرجع السابق

(٢) انظر: لسان العرب١٩/٢٨٦ .

(٣) انظر: خزانة الأدب ٩/٩٣.

(٤) الشوكاني، فتح القدير، ٤/ ٥٥٦.

(٥) انظر: الأنصاري، إبراهيم بن علي بن تميم ، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت،٤/ ٩٧٨.

ومن ذلك أيضا التشبيه في قول الشاعر زهير:

رأيت المنايا خبْط عشواء من تُصبْ ⟵ تُمِتْه ومن تخطىء يُعَمِّر فيهرِمِ

وفيه يشبه الشاعر المنايا في صورة الناقة العشواء التي لا تبصر فهي تخبط بيديها كلّ ما مرت به، وشبه زهير المنايا بخبط عشواء لأنها تعُمُّ الكل ولا تخص"[١].

ومن أمثالهم السائرة: "هو يخبط خبْط عشواء" وهذا يُضرب مثلا لمن يتصرف على غير علم ولا بصيرة[٢].

الوجه الثالث : أنه الرأي المرجح عند أكثر أهل العلم من المفسرين .

قال الإمام الطبري: "وإنما معنى الكلام؛ ومن لا ينظر في حجج الله بالإعراض منه عنه إلا نظراً ضعيفاً، كنظر من قد عشي بصره: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ الزخرف: ٣٦.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل[٣].

الوجه الرابع: استنكار جماعة من أهل العلم لهذا التفسير المنقول عن الفراء.

فقد أنكر ابن قتيبة أن يكون "يعش" بمعنى: أعرض، قال: وإنما الصواب" أي تغافل عنه، كأنه لم يره، تقول العرب: "عشوت إلى النار" إذا استدللت إليها ببصر ضعيف...ومنه حديث ابن المسيب:" أنّ إحدى عينيه

(١) لسان العرب ٤/٢٩٥٩.

(٢) لسان العرب ١٥/ ٥٧.

(٣) تفسير الطبري ، جامع البيان ت أحمد شاكر ٢١/ ٦٠٤.

ذهبت وهو يعشو بالأخرى"[١]. أي: يبصر بها بصراً ضعيفا"[٢].

وبناء على ذلك يكون ما ذهب إليه النحاس أدق وأصح مما ذهب إليه الفراء في معنى "يعش" ذلك أن مادة اللفظ على ما هو واضح تدور حول ضعف الرؤية وقِصر النظر .

وبهذا يكون معنى قوله تعالى:﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ﴾[٣] أي: ومن يعم عن القرآن، أي: يفعل فعل المعاشي–عن القرآن الكريم– وما فيه من الحكمة إلى أباطيل المضلين يعاقبه الله تعالى بشيطان يقيضه له؛ حتى يضله، ويلازمه قرينًا له، فلا يهتدي مجازاة له حين آثر الباطل على الحق البين[٤] .

ج– دلالة كلمة " جناحك":

الواردة في سياق قوله تعالى﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ﴾ القصص: ٣٢.

حيث قال:" قال الفراء الجناح ههنا العصا، ولم يقل هذا أحد من أهل التفسير ولا من المتقدمين عليه، وحكى أكثر أهل اللغة أن الجناح من أسفل العضد إلى آخر الإبط وربما قيل لليد جناح ولهذا قال أبو عبيدة" جناحك" أي يدك"[٥].

---

(١) عن سعيد بن المسيب، قال:" ما أيس الشيطان من شئ إلاّ أتاه من قبل النساء ثم قال لنا سعيد – وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يعشو بالأخرى: ما شئ أخوف عندي من النساء" انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ٤ / ٢٣٧

٢– تفسير غريب القرآن ص٣٩٨

٣– سورة الزخرف الآية ٣٦

٤– انظر : الشوكاني، محمد بن علي ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت ٤/ ٥٥٦

(٥) معاني القرآن للنحاس ٥/ ١٧٨ وانظر: مجاز القرآن ٢/ ١٠٤.

وفي هذا المثال يرى الفراء أن المقصود بـ "الجناح" ههنا "العصا"، التأويل الذي أنكره النحاس حيث لم يقل به أحد من المتقدمين والمتأخرين، بل المعروف والمشهور أن جناح الرجل هو: عضده أو يده.

وبالرجوع إلى كلام أهل اللغة والتفسير؛ تبيّن دقة هذا التصحيح ، وذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن الْجَنَاحُ –بفتح الجيم–يطلق لغة حقيقة على "يد الإنسان وعضده".

قال ابن منظور:" وجَناحا الطائر يداه، وجَناحُ الإِنسان يَدُه، ويدا الإِنسان جَناحاه، ويقال اليد كلُّها جَناحٌ وجمعه أَجْنِحة وأَجْنُحٌ"(١).

وقال الراغب: ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ عبارة عن اليد، لكون الجناح كاليد، ولذلك قيل لجناحي الطائر يداه"(٢).

الوجه الثاني: تفسير الجناح بـ"العصا" خلاف المأثور من تفسير السلف.

وقد ذكر ذلك الطبري فقال:" والجناحان هما اليدان، كذلك رُوي الخبر عن أبي هُريرة وكعب الأحبار، وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل...وعن مجاهد، قوله: ﴿جَنَاحَكَ﴾ قال: كفه تحت عضده"(٣).

ونقل ابن الجوزي عن ابن عباس قوله :" اضمم يدك إلى صدرك من الخوف ولا خوف عليك.

(١) لسان العرب ط دار المعارف ١/ ٦٩٧.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص: ٢٠٦.

(٣) الطبري ، محمد بن جرير ، جامع البيان في تأويل القرآن، ت شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط الأولى، ١٤٢٠ هـ ١٨/ ٢٩٧.

وقال مجاهد: كل من فزع فضم جناحه إليه ذهب عنه الفزع[١].

الوجه الثالث: أنه الرأي المرجح عند أهل العلم من المفسرين واللغة[٢]:

قال ابن قتيبة:" والجناح: الإبط، والجناح: اليد أيضاً"[٣].

وقال الراغب: "عبارة عن اليد؛ لكون الجناح كاليد ولذلك قيل لجناحي الطائر يداه "[٤].

وقال الألوسي:" والمراد بالجناح اليد لأن يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر"[٥].

وبناء على هذا يكون ما ذهب إليه النحاس في معنى "الجناح" أدق وأصح مما ذهب إليه الفراء، أي أن المقصود بـ "ضم" موسى عليه السلام جناحه إليه من الرهب أي أن يجمع يديه إلى جنبه من خوفه عند مشاهدة انقلاب العصا حية ليذهب ما في قلبه من الخوف.

قال الإمام الثوري:" خاف موسى عليه السلام أن يكون حدث به سوء فأمره سبحانه أن يعيد يده إلى جنبه لتعود إلى حالتها الأولى فيعلم أنه لم يكن ذلك سوءا بل آية من الله عز وجل"[٦].

---

(١) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ، زاد المسير في علم التفسير ، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ، ٣٨٣/٣.

(٢) قال الأزهري: "ومعنى "جَنَاحَكَ" ههنا: العَضُد" انظر: تهذيب اللغة ٦/ ١٥٦.

(٣) ابن قتيبة ، غريب القرآن ، ت أحمد صقر، ص: ٣٣٣.

(٤) المفردات في غريب القرآن ص: ٢٠٧.

(٥) الألوسي، محمود بن عبد الله ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، ١٠/ ٢٨٤.

(٦) أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، ت: صدقي جميل، دار الفكر، =

ومن لطيف ما ذكره المفسرون ما أورده الإمام الزمخشري بأسلوبه البلاغي متسائلاً "فإن قلت قد جعل الجناح وهو اليد في أحد الموضعين مضموماً وفي الآخر مضموماً إليه وذلك قوله: ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ﴾ وفي طه: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ فما التوفيق بينهما؟

قلت: المراد الجناح المضموم هو اليد اليمنى والمضموم إليه هو اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح"(١).

٣- تصحيحه لبعض" أهل اللغة":

في جميع الأمثلة السابقة نجد أن النحاس رحمه الله تعالى قد صرح باسم من يصحح له. وهذا من سمات منهجه على الأعم الأغلب.

لكن لوحظ أنه في بعض الأحيان يصحح لغيره دون التصريح مستخدماً كلمة "بعض أهل اللغة" أو "بعض النحويين" أو كلمة "قيل" . كما فعل في:

دلالة كلمة "يتسنّه": الواردة في سياق قوله تعالى: ﴿عَامِ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ﴾ البقرة: ٢٥٩.

حيث قال:" قال بعض أهل اللغة لم يتسن من قولهم آسن الماء إذا انتن، وقال أبو عمر الشيباني"لم يتسنه" لم يتغير، من قوله تعالى:﴿مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٢٦﴾ الحجر: ٢٦.

ثم أبدل من إحدى النونين ياء كما قيل تقصيت وتظنيت وقصيت أظافري، قال أبو جعفر: والقولان خطأ؛ لو كان من قولهم أسن الماء إذا انتن

= بيروت طبعة: ١٤٢٠ هـ، ٨ / ٣٠٢.

(١) الزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، دار إحياء التراث، بيروت ٣/ ٤١٣.

لكان يتأسن، قال أبو إسحاق وليس مسنون لأن مسنوناً :"مصبوب على سنة الأرض". قال أبو جعفر: والصحيح أنه من "السنة" أي لم تغيره السنون"[1].

وفي هذا المثال يذكر النحاس أقوال أهل اللغة في بيان معنى" يتسنه" حيث يمكن ترتيبها على النحو الآتي:

الوجه الأول:– وقد نسبته بعض المصادر إلى النقاش[2]. وهو أن يكون اللفظ مأخوذ من "أسن الماء": إذا تغير.

وهذا القول وإن كان معناه صحيحًا؛ فهو مردود من جهة الاشتقاق؛ ولذلك رده النحاس. وغيره أيضا من العلماء[3] وبينوا أنه لو كان من قولهم أسن الماء إذا انتن لكان: "يتأسن".

قال الإمام الطبري: "وهذا التأويل عندنا غلط من متأوليه وذهاب عن وجه الصواب فيه، ولو كان على ما توهموه لوجب أن يقال: "لم يتأسن"؛ لأن

---

(١) معاني القرآن للنحاس١/ ٢٨١.

(٢) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد، المقرئ، المعروف بالنقاش، الموصلي الأصل البغدادي المولد والمنشأ؛ كان عالما بالقرآن والتفسير، وصنف في التفسير كتابا، سماه شفاء الصدور وصنف غيره فمن ذلك الإشارة في غريب القرآن. انظر ابن خلكان، أحمد بن محمد ابن إبراهيم، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، وفيات الأعيان ٤/ ٢٩٨ وانظر تفسير القرطبي ٣٠٣/٤، و فتح القدير ٤٢١/١.

(٣) ممن رده القرطبي ، ابن عطية ، أبو حيان ، مكي.. وغيرهم انظر: الجامع لأحكام القرآن ٣/ ٢٩٣، تفسير ابن عطية ١/ ٣٥٠، البحر المحيط في التفسير ٢/ ٦٢٣، الهداية إلى بلوغ النهاية ١/ ٨٧٢.

الهمزة فيه فاء الفعل والسين عينه والنون لامه"[١].

ويؤكد الطبري فساد القول بأن يكون اللفظ من أسن" فيقول :"فإن ظن ظان أنه من "الآسن" من قول القائل: أسن هذا الماء يأسن أسنا، كما قال الله ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ محمد: ١٥.

فإنه ذلك لو كان كذلك لكان الكلام: فانظر إلى طعامك وشرابك لم "يتأسن"، ولم يكن "يتسنه" فإنه منه، غير أنه ترك همزه، قيل: فإنه وإن ترك همزه فغير جائز تشديد نونه، لأن النون غير مشددة، وهي في يتسنه مشددة، ولو نطق من يتأسن بترك الهمزة لقيل يتسن بتخفيف نونه بغير هاء تلحق فيه، ففي ذلك بيان واضح أنه غير جائز أن يكون من الأسن"[٢].

الوجه الثاني:– نسبه النحاس إلى أبي عمر الشيباني – وهو أن يكون أصله: "يتسنن" على وزن "يتفعل" بثلاث نونات، من قوله تعالى: ﴿﴿مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٢٦﴾﴾ الحجر: ٣٣، ويكون معناه: "لم يتغير ريحه"، من قولهم: "تسنَّى الطعام" إذا تغير ريحه أو طعمه، فاستثقل توالي الأمثال في الفعل "يتسنن"، فقلبت النون الثالثة ياء، كما قالوا في "تظننت": "تظنيت"، وفي "قصصت": "قصَّيت"، ثم قلبت الياء ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها، فصار: "يتسنى"، ثم حذفت الألف للجزم، فصار: "يتسنَّ"، وأدخلت عليه هاء السكت لبيان حركة النون في الوقف"[٣].

---

(١) تفسير الطبري ، جامع البيان ت شاكر ، ٥/ ٤٦٧.

(٢) تفسير الطبري ، جامع البيان ، ٥/ ٤٦٧.

(٣) انظر: ابن الهائم، أحمد بن محمد، التبيان في تفسير غريب القرآن ت: ضاحي عبد الباقي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ ص: ١١٤. وانظر: البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: =

ويرى النحاس أنه لا يصح من ناحية المعنى؛ لأن المسنون: المصبوب على سنة الطريق[1]، فقال:" قال أبو إسحاق وليس مسنون لان مسنونا" "مصبوب على سنة الأرض". وهو معنى غير مراد في هذه الآية.

الوجه الثالث: وهو الرأي الراجح عند النحاس: وهو أن يكون من (تسنَّهَ، وسانهت)، وهو (يتفعل) من (السنة)؛ وعليه يكون المعنى: (لم يتغير بمر السنين عليه، بل بقى على حاله، كما كان، كأنه لم يلبث مائة سنة) [2].

وهذا هو الرأي المرجح عند أكثر أهل التفسير واللغة، كالشوكاني، والزمخشري وابن قتيبة ، ومكي[3].

قال ابن قتيبة:" لم يَتَسَنَّهْ: لم يتغير بمر السنين عليه، واللفظ مأخوذ من السَّنه، يقال: سانهت النخلة: إذا حملت عاماً، وحالت عاماً"[4].

ومن الشواهد لها قول الشاعر:

فليست بسنهاء ولا رجبية ✍ ولكن عرايا في السنين الجوائح[5]

وفيه يمدح النخلة، والمقصود مدح صاحبها بالجود فقال إنه يعريها لمن

= الأولى – ١٤١٨ هـ ١/ ١٥٦.

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج ٣٤٤/١، والدر المصون ٥٦٣/٢.

(٢) الزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ت: عبد الرزاق المهدي ١/ ٣٣٥.

(٣) انظر : فتح القدير ٤٢١/١، وكشف مشكل القرآن لمكي ٣٠٨/١، والكشاف ١٥٢/١

(٤) أي: لم تحمل، لسان العرب ١١/ ١٨٤.

(٥) لسان العرب ٤١١/١.

يأكل ثمرها لا يرجبها لتخلية ثمرها ولا هي بسنهاء[١].

وبعد فليست هذه الألفاظ التي ذكرها الباحث هي كل ما في كتاب معاني القرآن من هذه التصحيحات الدلالية الدقيقة، التي لا يدركها القارئ بيسر وسهولة. بل هي كثيرة في الكتاب؛ ولكني اجتزأت من هذا المَعين الثرّ بشيء أتّخذه نماذجَ لهذه القضية التي أفرغْ فيها النحاس جهده في توضيح معانيها الدقيقة.

وفي هذا البحث رأينا كيف أنّ النحاس كان معنياً بالبحث في دلالات ألفاظ القرآن الكريم، يستجلي من خلالها أسرار معاني التنزيل. مدركاً أن الطريق إلى الفهم الصحيح للفظ القرآني والدقيق هو إرجاع هذه الألفاظ إلى معرفة العرب لها، ولاستعمالها متمثلاً بذلك عبارة ابن الأزرق المتكررة في مسائله:

«وهل تعرف العرب ذلك؟»، وما جواب ابن عباس بالإحالة على الشعر الجاهلي إلا جزء من العناية بهذا المأخذ اللغوي للألفاظ وتحديده.

وهذا العمل منه رحمه الله تعالى ما هو إلا ربط لهذه الألفاظ بجذورها ربطاً وثيقاً يمنع من خروجها عن المعنى الصحيح والدقيق لها. وكل ذلك بلا شك يدل على إمامته رحمه الله ورسوخ قدمه في هذا العلم.

وأخيراً أحمد الله القدير جل في علاه، وأثني عليه بما هو أهله، وأصلي على سيدنا المبعوث رحمة للعالمين بالحق بشيراً ونذيراً وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرًا.

(١) أي: لم تحمل، لسان العرب ١١/ ١٨٤.

الخاتمة

وبعد... فالحمد لله الأول والآخر، حمداً يليق بعظمة جلاله، وحسن نواله وجماله، ويوافي نعمه، ويقابل كرمه.

الحمد لله الذي رزقني فضل الاشتغال بآيات كتابه العزيز، ووفقني لإتمام هذه الدراسة، لأقف في نهايتها مسجلاً أهم النتائج التي تبدت ملامحها فكانت على النحو الآتي:

أولاً: قدمت الدراسة نماذج من تصحيحات النحاس الدلالية لبعض معاني ألفاظ القرآن الكريم كشفت من خلالها أن أوائل محاولات تفسير القرآن كانت بدايات البحث في دلالة الألفاظ، وأنَّ كتب معاني القرآن، هي من أوائل الكتب التي بحثت عن الدلالة بوجه عام.

وأن النحاس يعد من العلماء الذين أسهموا بشكل فاعل في إثراء البحث الدلالي للفظ القرآني.

ثانياً: اعتنى النحاس رحمه الله تعالى في كتابه بالمفردة القرآنية من جميع جوانبها الدلالية، واهتم بها اهتماماً كبيراً فهو يقلّب هذه الألفاظ على وجوهها المختلفة، ويفسرها التفسير الذي يتسق مع المعنى العام للنص القرآني. وغايته من ذلك الوصول إلى دلالات الآيات القرآنية بصورة دقيقة.

ثالثا: كشفت الدراسة عن موقف النحاس الناقد لمصادره، وخلصت إلى أنّه لم يكن مجرد ناقل فحسب، فهو ينتقد ويرد تلك العبارات التي اعتقد أن غلطا قد حلّ في دلالتها إلى دلالاتها الصحيحة التي وضعت لها في أصل اللغة. مستفيدا من أئمة اللغة المعتبرين في ذلك بإيراد أقوالهم في ثنايا كتابه.

رابعا: وضحت الدراسة منهج النحاس الكلي في دراسته لألفاظ القرآن الكريم، وأنّه يجمع فيه بين المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشهور على لسان العرب، مبتعداً في ذلك عن نوادر اللغة وشواردها، وهو المنهج الذي صرح به في جميع الأمثلة المذكورة.

خامسا: كشفت الدراسة عن القيمة اللغوية لكتاب معاني القرآن للنحاس، حيث انتهت إلى وجود ثروة كبيرة في موضوع دلالات الألفاظ لو جمعت لخرج منها كتاب يستحق الدراسة.

وبعد فإنني لا أدعي أنني أحطت بكل ما يتصل بموضوع التصحيح الدلالي في كتاب معاني القرآن الكريم للنحاس، وإنما هي محاولة متواضعة، للكشف عن عنايته رحمه الله تعالى بهذا الجانب من جوانب كتابه، فإن أحسنت فمن الله وحده وله الحمد والمنة، وإن قصرت وأخطأت فمن نفسي والشيطان. واستغفر الله وأتوب إليه.

والحمد لله رب العالمين.

المراجع

- ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: ١٤٢٠هـ.
- ابن الجزري ، ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ، زاد المسير في علم التفسير ، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
- ابن الهائم، أحمد بن محمد، التبيان في تفسير غريب القرآن ت: ضاحي عبد الباقي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ .
- ابن حجر ، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩م .
- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس، دار صادر ، بيروت.
- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٩٠م
- ابن عادل، عمر بن على الدمشقى، تفسير اللباب، دار الكتب العلمية بيروت.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، الدار التونسية، ١٩٨٤ هـ .
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ت: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

● ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، غريب القرآن، ت أحمد صقر ، دار الكتب العلمية.

ابن كثير ، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية ، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ .

● ابن منظور، لسان العرب. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط ١، ٢٠٠٣.

● أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط ، ت: صدقي جميل، دار الفكر،بيروت، ١٤٢٠ هـ.

● أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، معمر بن المثنى، ت: محمد فؤاد، دار الكتب العلمية ، القاهرة، ١٣٨١ هـ .

● أحمد مختار عمر: علم الدلالة. عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط ١، ١٩٨٥.

● الأدنه وي، أحمد بن محمد، طبقات المفسرين، ت: سليمان الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ١٩٩٧م.

● الأزهري ، محمد الهروي، تهذيب اللغة، ت: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، ط: ٢٠٠١م.

● الأشموني، حسن بن قاسم، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ت : عبد الرحمن علي ، دار الفكر العربي، ط الأولى.

● الألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف.

● الألوسي، محمود بن عبد الله ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

• الأنصاري ، إبراهيم بن علي بن تميم ، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت.

• البغدادي، عبد القادر بن عمر ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ت : اميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: ١٩٩٨م.

• البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ..

• الترمذي ، سنن الترمذي ، ت شاكر، مطبعة مصطفى البابي ، مصر، الطبعة: الثانية، ١٩٧٥ م.

• الجزري، مجد الدين أبو السعادات، النهاية في غريب الحديث والأثر، ت: طاهر الزاوى، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.

• الجوهري ،إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م .

• الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، الطبعة:٢٠٠٦م .

• الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ت: علي محمد البجاوي، دار المعرفة ،بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ.

• الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ محمد،: المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

• الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

● الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن، ت: محمد سيد كيلاني، ط الحلبي، ١٩٦١م .

● الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية.

● الزركشي، محمد بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل، دار المعرفة، ١٣٩١.

● الزمخشري ، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، ت: عبد الرزاق المهدي

● الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة. تحقيق عبد الرحيم محمود. دار المعرفة، بيروت.

● السمعاني، عبد الكريم بن محمد ، الأنساب ، ت: عبد الرحمن بن يحيى، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ .

● السمين الحلبي، أحمد بن يوسف ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ت: أحمد الخراط ،دار القلم.

● السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، طبقات المفسرين، ت: علي محمد عمر، مكتبة وهبة– القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦.

● الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي، الموافقات في أصول الفقه، ت: عبد الله دراز ، دار المعرفة.

● الشوكاني، محمد بن علي ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية ، دار الفكر ،بيروت .

- الطبري ، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ت شاكر، مؤسسة الرسالة ، ط ١٤٢٠ هـ.
- العكبري، عبد الله بن الحسين، إعراب القراءات الشواذ، ت: محمد عزوز، عالم الكتب، ١٤١٧هـ .
- الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، دار سعد الدين، ط، ٢٠٠٠م.
- القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، ت: محمد باسل، دار الكتب العلمية، ط ١: ١٤١٨ هـ .
- قدور، أحمد محمد، مبادئ اللسانيات، دار الفكر ، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٩٩م .
- القرطبي ،محمد بن أحمد ، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ت: الصادق بن محمد، دار المنهاج، الرياض، ط الأولى، ١٤٢٥هـ .
- المزي: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ت: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٩٨٠م.
- مصطفى، إبراهيم ، المعجم الوسيط ، تحقيق: مجمع اللغة العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة.
- مكي بن أبي طالب، حَمّوش بن محمد بن مختار، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، ت: مجموعة رسائل جامعية ،جامعة الشارقة، كلية الشريعة ، طبعة: الأولى، ٢٠٠٨م.

• منصور، عفراء رفيق، التطور الدلالي لدى شعراء البلاط الحمداني، جامعة تشرين، ٢٠٠٩م.

• النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، معاني القرآن، ت: محمد الصابوني، جامعة أم القرى.

• ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ، معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.

فهرس الموضوعات

المقدمـة..... ٧٣

المطلب الأول: مفهوم دلالة الألفاظ..... ٧٦

المطلب الثاني: أهلية النحاس للتصحيح الدلالي..... ٧٩

المطلب الثالث: منهجه في التصحيح..... ٨٣

المطلب الرابع : مظاهر التصحيح الدلالي عند النحاس: ٨٤

الخاتمة:..... ١١٤

المراجع ١١٦

فهرس الموضوعات ١٢٢